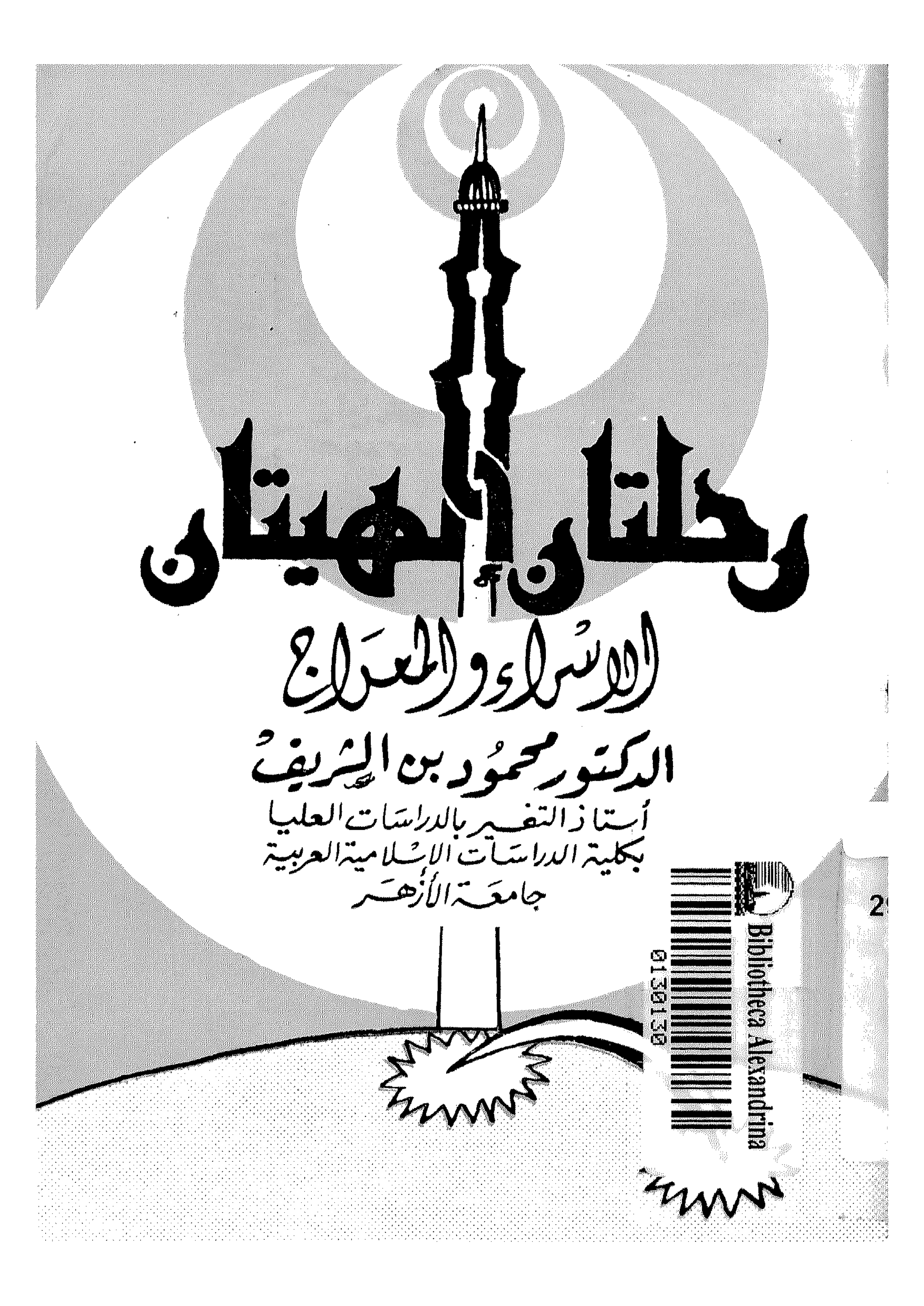


رحلتان إلهيتان

الإسراء والمعراج

الدكتور محمود بن الشريف
أستاذ التفسير بالدراسات العليا
بكلية الدراسات الإسلامية العربية
جامعة الأزهر



ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب

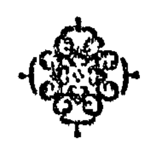
تصدر عن مؤسسة

دار الشعب

للصحافة والطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة

جمال الدين زكى



لتظل القاهرة .. وانما قلب العروبة والإسلام الناهض .. تتبوأ مكانتها التاريخية والحضارية .. فى عالم الفكر والثقافة والنشر !!



الإدارة : ٩٢ شارع قصر العينى - بالقاهرة
ت ٣٥٥١٨١٠/٣٥٥١٨١٨/٣٥٤٢٨٠٠/٣٥٥٧٧٣٠
تلكس دولى ٢٠٥٧٤١
ص . ب ١٤ رقم بريدى ١١٥١٦

رحلتان إلهيتان :

الإسراء والمعراج

الدكتور محمود بن الشريف
أستاذ التفسير بالدراسات العليا
بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية جامعة الأزهر

١٤١١هـ - ١٩٩١م

مطبوعات الشعب
ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب

سلسلة
ثقافية
ادبية
اعلامية
تصدرها :
مؤسسة
« دار الشعب »
للصحافة
والطباعة
والنشر

رئيس قطاع النشر
سعاد قنديل

□ الغلاف للفنان :
نبيل محمد فرغلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

(الاسراء ١)

مقدمة

بين يدى الإسراء والمعراج

فى حياة الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ
ظواهر آلهية أو جدها المولى .. جل جلاله ، ليختبر بها القلوب ، ويمحص بها الافئدة ، ويصهر بها ايمان المؤمن ، فيزداد ايمانا ، ويكشف بها من كان واهى الايمان واهن العقيدة ، فيبعده عن شريعته السمحة ورحمته الرحيمة .

والاسراء والمعراج ظاهرتان آلهيتان ، وقعتا والمجتمع الاسلامى وليد ، والعقل العربى لم يصقل بالمعارف ، ولم تهيئه المخترعات العلمية لأن يؤمن بهذه الظواهر ايمانا لا يتطرق اليه ريب .

لذلك ارتاب بعض من آسلم عندما سمع حديث الاسراء والمعراج .. وصبأ وارتد الى وثنيته ووأد صيحات الايمان فى أعماقه .. وآمن بصوت العقل عقله العاجز القاصر الذى استبعد حدوث الاسراء والمعراج .

ان الاسراء والمعراج معجزة إلهية لا توضع تحت المجهر العقلى .

وليس للعقل مجال فى الحكم على الاسراء والمعراج ، لأنهما من عالم الغيب الذى لا تدركه الحواس ، وليس للعقل الا التسليم والتصديق بما ورد عنهما من

نصوص قرآنية ونبوية .. وليس له أن يسأل عن امكان ذلك ، أو كيفيتـه ، لأن ذلك ليس فى طاقة العقـل أن يفهمه ، لأنه من عالم الغيب ، وعالم الغيب عالم منيع لا يدخل تحت دائرة الادراك العقلى .

ولو رجعنا مع العقل الى الوراء .. الى الماضى ، قبل أن تكتشف المخترعات والمبتكرات وحدثنا العقل آنئذ عن هذه المكتشـفات والابتكارات التى ننعم بهـا الآن ، وقلنا له إن هناك المذياع والتليفون والتليفزيون وغزو الفضاء والوصول الى القمر وأخبرناه بأن هناك قوة كهربية تضىء .. وتنير بلمسة واحدة ، وتقوض وتميت بلمسـة وتدير آلات ومعامل ومصـانع .. ولا نعرف سرها .. لو حدثنا العقل يومئذ بذلك لنظر العقل الينا نظرة شك وارتياب ، ولا تهمنا العقل بقلة العقل ورمانا بالجنون أو الجموح ، أو الاغـراق فى الخيال .

وفى عالمنا اليوم واقع نعيشـه ونحياه هو هـذه المبتكرات والمستحدثات التى كشفها لنا العلم وكل آونة تجد سيظهر جديد مادام ركب العلم بجد فى سـيره ، وستتوالى الآيات مصداقا لقول الحق سبحانه :

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسـهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

والاسراء والمعـراج آيتان الهيتان نؤمن بهمـا فى حق .. وصدق ويقين .

دكتور محمود بن الشريف

أحداث وأعاصير

مهدت للإسراء والمعراج

فى مطالع الدعوة المحمدية ــ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ــ لم تكن أرض العقيدة فى مكة ممهدة للدعوة ، بل كانت أرضا صلبة حرونا لا تقبل ماء ولا تنبت كلأ ، لفظت البذور ونبذت الجذور ، ومنعت الايمان أن يستقر ويذدهر فى الأعماق . وسكرت الابصار .. وصمت الآذان عن سماع دعوة الداعى الى الله والى الاسلام دين الله .. ان الدين عند الله الاسلام

وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ

(سورة الاسراء الآية ٩٠ ــ ٩٣)

وناهض المشركون الدعوة المحمدية بكل قواهم وانطلقوا من نطاق الجحود والانكار اللسانى الى مجال التطاول والاستهزاء والابذاء والاعتداء على الدعوة وعلى الداعية وعلى من آمن بهما ، وما آمن الا قليل .

ولم تلن للرسول قناة ولم يهن له عزم ــ وصبر وصابر وقال لعمه قولته المشهورة : (والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى أهلك دونه) .

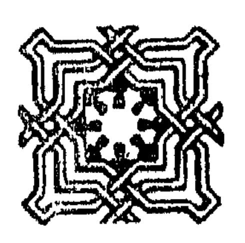
وأعداء محمد ، وهم كثر ، من مشركين ، ومنافقين ، ووثنيين، وأهل كتاب ودهريين الذين يقولون أن هي الا ارحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا الا الدهر ، هؤلاء جميعا رأوا دعوة محمد تسرى وتستشرى وتترى كل يوم بمعتنقين وبمؤمنين .. رأى الاعداء .. وسمعوا .. رأوا سحر القرآن فى النفوس وأثره وخطره عليهم وسمعوا آيات الله تتلى فتجرف الشرك ، فلم يكن بدعا أن حاول كل منهم أن يصدوا تيار الكتاب الآلهى .. ورصدوا طاقاتهم وامكاناتهم ليحولوا بادىء الأمر بين الاسماع وبين سماعه .. وأن يعملوا على وأده فى مهده وعلى الحيلولة دون هدية ولكن .

(يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

وأسقط فى أيديهم ، فهم أهل بلاغة ، والقرآن فى الذروة من البلاغة ، فلم يستطيعوا أن يطعنوا القرآن فى أسلوبه ، وفى تعبيراته، وفى جمال لفظه وجرسه ، فسلموا بالأمر الواقع وكانوا لولبيين ، فأقروا فى الظاهر ببلاغة القرآن ، وقرروا أنه بلغ الذروة لأنه كهانة وسحر ، ولأنه خيال وخداع .. لا أنه منزل من السماء ، بل هو شعر يسحر ويبهر ، وأنه من كلام بشر لا من كلام رب البشر .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾

(سورة سبأ الآية ٤٣)



شائعات

وتكتلت القوى مرة أخرى فوضعت مخططا دعائيا قــوامه : التشهير والتجريح ، واطلاق الشائعات والاكاذيب ، ونشر الدعاوى المسمومة والمزاعم حــول القرآن ، وحول من نزل عليه القــرآن صلى الله عليه وسلم .

وبعض العقليات تطامن من هامتها ، وتحنى رأسها ، وتتقبل ما يلقى اليها فى سرعة ، وفى صــدق ، وفى عمق .. وتجمــد على ذلك !!

والبعض يتناول الشائعة فيضفى عليها من خياله ما يزيدها حبكة وقوة ، ويزيد على أحداثها وحوادثها من عندياته ، وينفخ فيها من أخيلته وتصوراته ما يضفى عليها ألوانا صارخة وصــورا تجذب الى شباكها وأحابيلها الكثير .

وعرفت قريش أن ســـلاح الاتهامات الباطلة سريع الأثر فى النفسيات ، وبخاصة تلك النفسيات التى تلغى تفكيرها وتعطــل عقولها وتردد ما يلقى اليها ، وأن حرب الشائعات ستكفيها من أن تستل السيف لتشــهره فى وجه تلك الدعوة فجنــدت امكاناتها واستغلت وسائل الاعلام التى كانت بين يديها اذ ذاك ، لوأد دعوة محمد فى مهدها والقضاء على مركز الاشعاع الروحى فى مجالها .

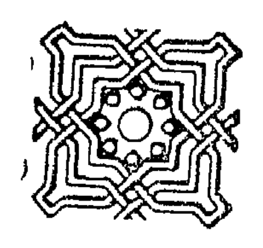
وتصدى القرآن لكشف هذه الحملة وتفنيد مزاعمها وترهاتها ، وأبان ركائزها وأسسها التى قامت على اعــداد أجهــزة لتحريف الآيات المنزلة بتغييرها أو تبديلها ، وأشرف على تلك الاجهزة نفر من اليهود لهم قدرة وبراعة فى هذه الناحية .

وقد تعب المشركون فى صــد تيار القرآن الجارف ووقف اثره فى النفوس فما استطاعوا ، ثم هداهم خيالهم الضيق الى طريقة يحولون بها بين القرآن وسامعيه تلك هى : الصخب عند ســماع

القرآن واللغوفية ، ولما كان فى ذلك استقبال لا يليق بالقرآن قابله الله بتهديد عنيف وايعاد شديد ، اذ يقول :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨)

(سورة فصلت الآيات ٢٦ ــ ٢٨)



مزاعم .. وأكاذيب

ثم ادخلوا فى روع العامة أن الرسول لا يكون بشرا ، بل ملكا ينزل من السماء ، فى يمينه المعجزة وفى يساره الكتاب ، واستنكروا قائلين : ألم يجد الله رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبى طالب ؟

وقال القرآن على لسانهم :

مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ

(سورة المؤمنون الآية ٢٤)

وقال القرآن الرسول :

قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ

(سورة الكهف الآية ١١٠)

ويرد القرآن على مزاعم المتقولين فى هذا المجال بأن الحكمة تقتضى أن يكون الرسول من جنسهم ، وبشرا مثلهم حتى يسهل الأخذ عنه والتلقى منه ، ولو سكنت ملائكة الأرض ما أرسل الله اليهم الا ملكا رسولا ، **يقول القرآن :**

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾

(سورة الاسراء الآيتان ٩٤ ، ٩٥)

ثم يقول القرآن فى أول سورة يونس :

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

(سورة يونس الآيتان ١ — ٢)

كما سجلت آيات هذه السورة موقفا بين هؤلاء الذين ارادوا استدراج الرسول عليه الصلاة والسلام ليبدل آية مكان آية فاذا ما أذعن اذاعوا على الملأ صنيعه .

وبين محمد الذى أفحمهم وقدم لهم الدليل الملموس على صدقه وأمانته .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾

(سورة يونس الآيات من ١٥ — ١٧)

وأتهموه بأنه شاعر يتيه فى أودية الخيال ويهيم فى مجال الفن والعبقرية والجن ، والجنون فنون ، كما يقولون ، **يقول القرآن :**

وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾

(سورة القلم الآية ٥١)

وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾

(سورة الصافات الآية ٣٦)

ويقص القرآن على لســانهم كل مفترياتهم هذه ثم يرد عليهم

وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾

(سورة التكوير الآية ٢٢)

وأطلقوا الشائعات تقول : ان القرآن من صنع محمد وتقولاته!!

ويتحدث القرآن بحديث حاسم عما يمكن أن يجازى به محمدا لو **افترى أو تقول** (ولو تقول علينـــا بعض الاقاويل لاخــذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) .

ويمضى القرآن فى تبيين خطوط مخطط الاعـــداء وخطوط **مؤامراتهم وما بينوه :**

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾

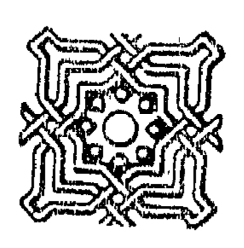
(سورة الفرقان الآية ٤ ــ ٦)

وهكذا ... ما يبيته أعداء الله يبينه وحى الله لأهل الله .

ولم يفت فى عضد المؤتمرين حينما رأوا أن مؤامراتهم ومناوراتهم الاعلامية لم تحظ بما كانوا يؤملونه فيها من نجاح واكتساح .. ففكروا .. وقدروا .. ودعاهم التفكير الى مزيد من وسائل اعلامية أخرى .. وسائل تمتاز بالجدة والابتكار وتتميز بالفعالية وسرعة التأثير ، فاتهموا القرآن بأنه أساطير .. وزعموا أن عندهم قصصا وأساطير تفوق القرآن ان لم تماثله ، ولجأوا الى النضر ابن الحارث الذى كان يحفظ كثيرا من القصص المختلفة من جراء كثرة تجواله وترحاله ، وجعلوه يتابع محمدا — صلى الله عليه وسلم — محاولا اجتذاب الناس من مجلس محمد داعيا الناس الى أن يستمعوا احاديثه عن « رستم » وأقاصيصه عن (سفنديار) وفى جرأة وتطاول كان يقول : عندى من الاقاصيص مثل ما عند محمد ، وسأنزل مثل ما أنزل الله على محمد .

والقرآن يكشف موقف هؤلاء ، وينذرهم ، فيقول :

ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين ، واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم .



الحصار الاقتصادى

وبلغت الشدائد ذروتها فى مستهل السنة السابعة من مبعثه صلى الله عليه وسلم حينما اجتمع المشركون وجمعوا أمرهم وتحالفوا على بنى عبد المطلب وبنى هاشم رهط النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى أن يقاطعوهم ، ولا يبايعوهم ، ولا يكلموهم حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، وكتبوا بذلك صحيفة ضمنوها الا يقبلوا من بنى هاشم صلحا ابدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموهم محمدا لقتله ، وتم هذا الميثاق وعلقت صحيفته فى جوف الكعبة .

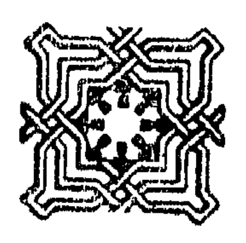
وبذلك أعلنت قريش حرب التجويع والحصار الاقتصادى والمقاطعة لمحمد وصحبه وقومه وحاصروهم فى (شعب أبى طالب) بمكة ثلاث سنين لقى فيها محمد وصحبه الوانا من العنت والمشقة والجهد والجوع والحرمان .. وبلغ منهم الجهد مبلغه حتى أكلوا ورق الشجر ، وسمع صراخ أطفالهم من وراء الشعب وهم يتضورون من الجوع وكان أبو جهل ـ لعنة الله ـ دائم اليقظة والنشاط لأحكام الحصار حتى يؤدى غايته التى قررتها قريش ، وهى أن يتخلى بنو هاشم وبنو المطلب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلموه اليهم فيقتلوه ، أو يتخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دعوته فيقضى عليها .

وبينما الكفار فى عنادهم وموقفهم اللانسانى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا منامية أن الله سبحانه قد سلط الأرضة

(العتة) على صحيفة المقاطعة فأكلت ما فيها الا اسم الله عز وجل ومحت كل ما فيها وتركت اسم الله . وقص الرسول صلى الله عليه وسلم رؤياه على عمه (أبى طالب) فصدق عمه رؤياه وأخذ اخوته الى حيث يجتمع الكفار، فقال لهم أن ابن أخى قد أخبرنى — ولم يكذبنى قط — أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة فمحت كل ما كان فيها من جور وظلم وقطيعة رحم وبقى فيها اسم (الله) فهلموا الى صحيفتكم فان كان كما قال ابن أخى فانتهوا عن قطيعتنا وتنازلوا عما فيها ، وان كانت كذبا دفعت اليكم ابن أخى فقتلتموه .. قالوا : قبلنا هذا العرض ..

وكانت الصحيفة مختومة بثلاثة أختام ، ومنذ أودعت بالكعبة لم يرها انسان ، ولم تمسسها يد بشر ، فبدأ لأعداء الله أن من المستحيل أن يكون ما قاله الرسول صوابا ولاحت عليهم علامات الانتصار وهم ذاهبون مع أبى طالب الى الكعبة لرؤية ما وصلت اليه الصحيفة .. ثم نظروا فاذا هى كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم . فسقط فى أيديهم وتولاهم الذهول .. وألغى العهد .. ورجع بنو هاشم وبنو عبد المطلب الى مساكنهم .

وكان خروجهم من الشعب فى السنة العاشرة من البعثة المحمدية على صاحبها أفضل صلاة وأتم تسليم .



عام الحزن

وما كادت محنة الحصار تنتهى حتى تلتها محن أخرى ، فقد مات عقب المحنة بأيام عم الرسول صلى الله عليه وسلم أبو طالب ، حامى الرسول وكافله .. ووليه بعد وفاة والده .

وبعده بأيام توفيت خديجة بنت خويلد زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ، ففقد النصير بموت عمه وفقد الأنيس بموت زوجه خديجة .

« لقد كان أبو طالب حصناً حصينا يحوط رسول الله صلى الله عليه وسلم من جميع نواحيه ، ويدفع عنه كثيرا من الأذى والضر ، وكانت خديجة سكنه الذى يأوى اليه ويستجير به كلما كربه الهم ، وضاق صدره بما يلقى من عناء القوم فيجد عندها الفرج والراحة والعزاء » .

فلما مات أبو طالب وخديجة اجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان عظيمتان : فقد النصير ، وفقد المجير ، فاشتد به الحزن وبلغ منه كل مبلغ ، حتى لقد سمى هذا العام « عام الحزن » .

نعم ، كان موت أبى طالب مصيبة كبرى ، فقد انكشف بموته ظهر محمد للقوم ، ووجدت قريش منفذاً اليه ، فنالت منه ما لم تكن تنال فى حياة أبى طالب ، وتعرض له سفهاؤها يؤذونه بألسنتهم وأيديهم .

وكذلك كان موت خديجة مصيبة أخرى ، فقد تركت فى حياة رســول الله صلى الله عليه وســلم فراغاً أحس به احساساً قويا وحزن بسببه حزنا شديدا وغلب عليه الوجد حتى خشى عليه . لقد غدا البيت بموتها خلاء موحشا لا أنيس .. ولا سمير !! أين منه ذلك القلب الكبير الذى كان يشكو اليه فيزيل عنه آلام الشكوى .. ويركن اليه فيواسيه ؟ .. أين منه ذلك العقل الحصيف الذى كان له وزير صدق فى الشدة والرخاء ، وعونا يستعين به على البأساء والضراء ؟ أين منه تلك النفس المخلصة ، التى حملت عنه أثقاله وشاطرته آلامه وآماله ؟ أين منه خديجة تلك الزوج الوفية التى آمنت به حين كفر الناس ، وصدقته حين كذبه الناس ، وأغنته بمالها ، وآزرته برأيها وعزيمتها ؟ أين منه ذلك الجو الأنيس الذى كان يغمره بالحب والحنان فيمسح عنه أشــجانه ويمده بالعزم والقوة ، ويعينه على هؤلاء الكفرة القساة .. لقد ذهب هذا كله بذهاب خديجة وأبى طالب .. فكان حريا أن يشتد به الحزن وأن تستبد به الوحدة .. حتى يجد الله له من همه مخرجا ومن ضيقه فرجا ..

وقال صاحب « السيرة النبوية والآثار المحمدية » : لما مات أبو طالب اشتدت قريش على النبى صلى الله عليه وسلم ، ونالت منه من الأذى ما لم تكن تطمع فيــه فى حيــاة أبى طالب ، فدخل صلى الله عليه وسلم يوما بيته والتراب علىَ رأســه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه .. وتبكى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها « لا تبكى يابنية فان الله مانع أباك » وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « ما نالت منى قريش شــيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » .

فى الطائف

واتجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عله يجد بين أرجائها صدى لدعوته عندما يجد فيها الأذن الصاغية الواعية، والقلب المتفتح الذى يستجيب لله وللرسول اذا دعاه لما يحييه .

وكانت قبيلة « ثقيف » بالطائف أول من فكر عليه الصلاة والسلام فى دعوتهم الى الله .. يعرض عليهم دين الحق ويطلب النصر والمنعة فيهم حتى يبلغ رسالة ربه بعد أن تنكرت له قريش ومكث فى ارجائها عشرة أيام يدعو الى عبادة الله الواحد الأحد ، فلم يستجب له أحد ، وكرهت ثقيف مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وقالت له : اخرج من بلدنا والحق بمن شئت فانا نخاف أن تفتن الناس عن دينهم .

وكما لم تكن ثقيف كريمة فى استقبال الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن كريمة كذلك فى تشييعها اياه ، فقد اغروا به سفهاءهم وسلطوا عليه عبيدهم يطاردونه ويسبونه ويقذفونه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان .

وترك الطائف وهو يشكو اليه ما لاقاه ، رافعاً يديه قائلا : (اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، ياارحم الراحمين .. أنت رب المستضعفين وأنت ربى ؛

الى من تكلنى ؟ .. الى بعيد يتجهمنى ؟ أو الى عدو ملكته امرى ؟ ان لم يكن بك غضب على .. فلا أبالى .. ولكن عافيتك أوسع لى .. اعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله) .

فلا عجب بعد كل هذه الصور من المآسى .. والاحزان أن سميت تلك السنة العاشرة سنة الآلام والأحزان ..

واستمر الأمر على ذلك والرسول صلى الله عليه وسلم يجاهد ويجالد ويكافح وينافح .. واعداء الله يصدون ويستكبرون ويعتدون .. والله العليم الحكيم مع رسوله الكريم يواسيه ويسليه ويصبره ويثبته :

(لا تحزن عليهم) (واصبر على ما يقولون) (واصبر وما صبرك الا بالله) (لست عليهم بمسيطر) (ان عليك الا البلاغ) (ذرهم فى خوضهم يلعبون) .

والداعية يشق على نفسه ، ويعمق فيها أخاديد من ألم ومرارة ان جابهه التكذيب .. فلا عجب أن انتاب قلب رسولنا صلى الله عليه وسلم نوبات من حزن وأسى .. من هؤلاء الذين أعرضوا وهو الحريص على هدايتهم . وكان لابد لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أجواء .. وآفاق .. أجواء تبدد الألم وتجدد الطاقة وآفاق .. تزيل وتذيب همه وما ألم به . وتشرح صدره وتبدد أسفه وأساه .

وما أن مضت هذه السنة العاشرة بأحمالها وآلامها .. وأقبلت السنة الحادية عشرة من مبعثه صلى الله عليه وسلم حتى حدث حادث ارتجت له الأرض واهتزت له السماء حدث رحلة الأرض .. ورحلة السماء .. رحلة الاسراء والمعراج .

تلك الرحلة التى حددها الله زمانا .. ومكانا .. وحددها هدفا وغاية .

سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا .

رحلة أرضية من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الأقصى بالشام .

وعقبها مباشرة رحلة سماوية علوية من المسجد الأقصى الى الملأ الأعلى .. الى لقاء الله . وزمان الرحلتين لحظة من لحظات الليل .

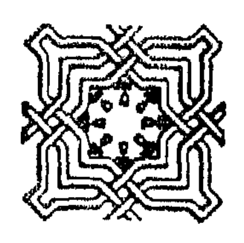
وهدفها (**لنريه من آياتنا**) .

وأراه من جلال الملك وعظمة الملكوت .. ودلائل القدرة ، وأسرار العلم والحكمة ما يعجز اللسان عن تبيانه وماتعيا العقول عن ادراكه .

وهنا تتجلى حكمة الاسراء والمعراج ، فلم تكن معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحسب ، بل كانت استضافة له فى الملأ

الأعلى وتكريما له .. وتسلية وتسرية عنه ، ليطمئن قلبه وتستنير بصيرته ويزداد يقينه بهذه الآيات التى رآها مصـــداقا لقول الله (لنريه من آياتنا) ولقـوله تعـــالى (لقـد رأى من آيات ربه الكبرى) .

ـ رحلة فريدة وحيدة فى دنيا البشر .. لم تقع لأحد قبله . ولن تقع لأحد بعده ..



قُبيل بَدء الرحلة
شق الصَّدر

قبيل بدء الرحلة تقول كتب السيرة « ان رســـول الله صلى الله عليه وسلم أتاه آت ففرج صـــدره ، ثم غسله بماء ، ثم جاء بوعاء ممتلىء حكمة وايمانا فأفرغه فى صدره الشريف ثم أطبقه ، وعرج به الى الســـماء » .

وقد استبعد العقلانيون حادثة شق الصدر هذه .

الا اننا فى عصرنا الحديث الحاضر وبعقليته المتطورة وروحه العلمى ، وبواقعه الحضارى ، نؤيد حادثة شق الصدر هذه ، ونؤمن بالأحاديث النبوية الصحيحة التى وردت فيها ، ولا نرى فيها الا نوعا من أنواع التهيئة الآلهية ، لرسول بشر ، عندما يكلف بأمر غير عادى .. أمر معجزة خارقة للعادة .

فالاسراء والمعراج رحلتان الهيتان لا تكونان طفرة .. بل لابد أن يسبقهما اعداد وتأهيل .

كما أن رواد الفضاء فى عصرنا الحالى ـ والقياس مع الفارق ـ يعدون اعدادا خاصـــا ، ويخضعون فيـــه لنواميس غير عادية ، وتمرينات خاصة وتدريبات جسمية ونفسية ، ونظم معينة .. وتهيئة وتأهيل ..

فلا عجب أن كانت هناك فى رحلـــة الاسراء والمعراج الى الملأ الأعلى تهيئة آلهية واعداد ربانى ولا عجب أن كان هناك شـــق صدر حسى ..

وجميع الأحاديث التى وردت فى حادثة شق الصدر صحيحة مقبولة [*]

واذا كانت كذلك واتفق الرواة على توثيقها وقبولها فهى تبطل كل الدعاوى الكاذبة المبطلة والشبهات الزائفة المغرضة التى يثيرها أعداء الاسلام ومن دار فى فلكهم ..

ولمزيد من العلم نقول : أن حادثة شق صدر النبى صلى الله عليه وسلم قد تكررت أربع مرات :

الأولى : وهو طفل صغير فى أوائل العام الثالث من عمره صلى الله عليه وسلم حيث وقعت له بعد عودة مرضعته حليمة السعدية به صلى الله عليه وسلم من عند أمه بشهر ، وقد حصل ذلك فى ديار بنى سعد .

الثانية : وهو صبى فى سن العاشرة من عمره .. وكان فى مكة المكرمة .

الثالثة : وهو فى سن الأربعين عند المبعث قبل أن ينزل عليه جبريل بالقرآن الكريم .

الرابعة : وهو فى سن الخمسين ليلة الاسراء والمعراج .

وقد ورد فى كل منها حديث صحيح أو أكثر ..

وقد يتساءل البعض عن الحكمة فى تكرار شق الصدر ..

حكمة تكرار شق الصدر

وتلخيصا لأقوال العلماء قدامى ومحدثين عن الحكمة فى شق الصـــدر نقول :

ان المرة الأولى : فى زمن الطفولة ، كانت ، لينشـــأ صلى الله عليه وسلم كامل الأحوال معصوما من الشـــيطان ومن وساوسه ونزغاته ..

وكانت الثانية : فى سن البلوغ والتكليف لزيادة تطهير قلبه الشريف حتى لا يلتبس بشىء مما يعاب به من هم فى هذه السن .

والثالثة : كانت عند المبعث زيادة فى التكرمة ليتلقى ما يلقى اليه بقلب قوى فى أكمل الأحـــوال من التطهير **(انا ســـنلقى عليك قولا ثقيلا)** .

والرابعة : كانت ليلة الاسراء والمعراج ، ليتأهب للمنـــاجاة واستعدادا لما يلقى اليه فى هذه الليلة الآلهية من أنواع الفتوحات الربانية التى تحتاج الى شرح الصدر ونقائه ، وقوة القلب وثباته.

وها هى ذى بعض الأحاديث والأخبار الصحيحة الواردة عن كل مرة .

عن المرة الأولى : تقول حليمة الســـــعدية مرضعته صلى الله عليه وسلم : بعد مقدمنا بشـــهر من مكـــة ، مع أخيه ورفيقه فى الرضاع ـــ وكنا فى بهم (أى قطيع من الغنم) لنا خلف بيوتنا ، اذ أتانا أخوه يشـــتد فى ســـيره قائلا لى ولأبيه (زوج حليمة) : ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه.. فشقا بطنه ، وهما الآن يســـوطانه (أى يحركانه) فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما متغيرا وجهه .. فالتزمته .. والتزمه أبوه .. وقلنا له : مالك يابنى ؟

قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى ، وشـــقا بطنى فالتمسا فيه شـيئا لا أدرى ما هو .. فرجعنا الى خبائنا وعند رجوعنا قال لى أبوه :

ياحليمة : لقد خشيت أن يكون هــذا الغــلام قد أصيب ، فالحقيه بأهله قبل أن يظهر عليه أثر ذلك .

فاحتملناه ، وقدمنـا به الى أمه التى قالت عنـدما رأته : ما جاءك به ؟ وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ؟ فقلت : قد قضيت مهمتى .. وأخاف الأحداث عليه ، فأديته الآن عليك كمـا تحبين .

قالت : ما هذا شأنك !! فأصدقينى خبرك .. ولم تدعنى حتى أخبرتها ، فقالت : أو تخوفت عليه الشيطان ؟ قلت : نعم . قالت : كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وان لابنى لشـأنا أفلا أخبـرك به ؟ قلت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاء لى به قصور بصرى من أرض الشـــام .. ثم حملت به فوالله ما حملت من حمـل قط كان أخف ولا أيسر منه .. ووقع حين ولادته وهو واضـــع يديه على الأرض ورافع رأسه الى السماء أن سمعت صـــوتا يقول : دعيه عنك وانصرفى راشدة .

وعن المرة **الثانية** وهو فى سن العاشرة :

روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة ؟

قال : انى لفى صـــحراء أمشى وانا ابن عشر حجج ، اذا انا برجلين فوق رأسى يقول أحدهما لصاحبه : أهو .. هو ؟ قال : نعم . فأخذانى فاستقبلانى بوجوه لم أرها لخلق قط وارواح لم أرها من خلق قط . وثياب لم أرها على احد قط .. فأقبلا الى

يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدى ، لا أجد لأحـدهما مسـا ..

فقال أحدهما لصاحبه : اضجعه .. فأضجعانى بلا قصر .. ولا عصر (١) .

وقال أحدهما لصاحبه : أفلق صدره .. فهوى أحدهما الى صدرى ففلقه بلا دم ولا وجع ثم قال : شق قلبه : .. ولما شق قلبى قال لصاحبه : أخرج الغل والحسد منه فأخرج شبه العلقة فنبذ به .. ثم قال : أدخل الرأفة والرحمة فى قلبه فأدخل شيئا كهيئة الفضة ، ثم اخرج زرورا كان معه فذره على ، ثم نقر ابهامى .. ثم قال : اغد ، واسلم . فرجعت بها أغدو رأفة على الصغير ورحمة للكبير .

وعن الشق الثالث لصدره الشريف وردت أحـاديث عـدة نقتطف منها ذلك الحديث الذى روته السيدة عائشة : من أن النبى صلى الله عليه وسلم نذر أن يعتكف شهرا هـو وخديجة فوافق ذلك شهر رمضان ، فخرج ذات ليلة ، فسمع : السلام عليك ، ثم خرج فى يوم آخر فى رمضان نفسه ، فاذا بجبريل على الشمس له جناح بالمشرق وجناح بالمغـرب ، فهبط الى الأرض . وألقى رسـول الله صلى الله عليه وسلم على قفاه ثم شـق عن قلبـه ، فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ، ثم غسله فى طست من ماء زمـزم ، ثم أعاده مكـانه ، ثم لأمه ، ثم ختم فى ظهره حتى وجد مس الخاتم فى ظهره .

---

(١) وفى رواية : بلا قسر ولا هصر ، والقسر = الاجهاد ، والهصر = الجذب ، والمعنى لم يثقبا ظهرى ولم يكرهانى .

وعن الشق الرابع لصدره صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج وردت أحاديث رواها الامام البخارى والامام مسلم .
روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فرج سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فأفرغها فى صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدى فعرج بى الى السماء » .
ولعل قائلا يقول : ما الحكمة فى شق الصدر .. صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع القدرة على أن يمتلأ قلبه ايمانا وحكمة من غير شق ؟

أجيب عن ذلك : بأن الحكمة فى ذلك هى زيادة قوة اليقين عنده ، لأنه أعطى برؤية شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية ، فلذلك كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس حالا ومقالا ، ولذلك وصف بقوله **(ما زاغ البصر وما طغى)**.

وللاستزادة من الحديث عن هذه الاحاديث إلتى وردت فى شق الصدر وحكمتها وما ترمز اليه وابطال دعاوى المستشرقين تجاهها .. صدرت كتب حديثة ـ فضلا عن المراجع والمصادر القديمة ـ من هذه الكتب الحديثة كتاب (دلائل النبوة ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم) للامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود ، وكتاب : (السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة) للمرحوم الدكتور محمد أبو شهبة .

وكتاب (دلائل السيرة النبوية فى بيان الآيات القرآنية ، من جذور الاصطفا الى بشائر المبعث العظيم) لمؤلفه : الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم الشافعى .

بدء الرحلة

وبدأت الرحلة الالهية المباركة من « مكة » من البيت الحرام ..

وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم « البراق » وبجانبه سفير السماء جبريل عليه السلام والبراق (صاروخ آلهى) ان جاز هذا التعبير ، ولعل لهذه المركبة الآلهية من اسمها نصيب يدل على سرعتها ، (فهى براق من برق وما يستتبع ذلك من سرعة البرق) وكتب السنة النبوية تصفها بأنها دابة بيضاء تضع حافرها عند منتهى طرفه وان كان العقل العربى ، فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استبعد أن ينطلق مسافر من مكان ليلا الى مكان قصى ويعود فى نفس الليلة .. وأنكر أن تختزل المسافات ويختصر الزمن ، وقال المنكرون : مسافة نقطعها فى شهرين ذهابا وعوده يقطعها محمد فى لحظات !!

الا أننا فى عهدنا هذا .. عهد الصواريخ والطائرات التى تسبق الضوء والصوت نسخر بدورنا من هذه العقليات التى سخرت بالبراق ، واستبعدت اختزال المسافات واختصار الزمن .

وليت منكرى الأمس كانوا معنا اليوم ليروا الأدلة الحسية التى قدمها الزمن بطائراته وقذائفه ومخترعاته على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

□ □ □

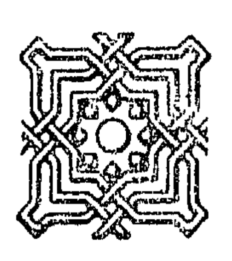
ووصل الركب المحمدى الملائكى فى لمحة ، بل فى أقل منها الى « بيت المقدس » والتقى أمير الانبياء وخاتم المرسلين بالانبياء .. وصلى بهم اماما « لقد كان الاسراء رحلة مباركة فى الارض ، بين المسجد الحرام الذى بناه ابراهيم واسماعيل ، والمسجد الأقصى الذى بناه داود وسليمان ، وهما البيتان اللذان باركهما الله تعالى

وبارك ما حولهما فكانا مقر عبادة الله وتوحيده ، وكانا مهبط الوحى على رسله وأنبيائه .

وقد مر عليه الصلاة والسلام فى رحلته الأرضية هذه بالبقعة المباركة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام ، وهى (طور سينا) فصلى بها ركعتين .. ومر بالبقعة المباركة التى ولد فيها عيسى عليه السلام ، وهى (بيت لحم) فصلى بها ركعتين ، ثم وصل الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى فى حشد من الأنبياء والرسل فصلى بهم جميعا ، ثم عرج به الى السماء .. فرأى من آيات ربه الكبرى ما شاء الله له أن يرى (١) » .

ويروى ابن هشام الحكمة فى حادث الاسراء ، فيقول :

« وكان فى مسراه وما ذكر منه ، بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة ، وثبات لمن آمن بالله وصدق . وكان من أمر الله على يقين ، فأسرى به كما شاء وكيف شاء ، ليريه من آياته الكبرى ما أراده ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التى يصنع بها ما يريد » .



---

(١) من كتاب : صور من حياة الرسول . للاستاذ أمين دويدار .

رحلة المعراج

وما أن انتهت زيارته صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس .. حتى بدأت الرحلة الثانية ، رحلة العروج الى السموات العلى .. رحلة اللقاء بين الله ومحمد وفى كل سماء كان محمد يرى عجبا .. وصورا .. ونماذج .

ولا نكون مبالغين ولا مغالين ولا نسير فى متاهات بعيدة عن الحق اذا ما حكمنا بأن ما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معراجه من صور ومشاهد انما كان ذلك شرائح وقطاعات حقيقية من الحياة البرزخية التى يعيشها ويحياها أهل البرزخ فى برزخهم ، أراها الله اياها تكرمة له وتسلية وتسرية لتهدأ نفسه وليدوم على الجهاد والجلاد ويثبت على الدعوة مهما لاقى فى سبيلها من عنت ومشقة .

ولأجل أن نؤيد متجهنا هذا نسوق الاحاديث الشريفة الصحيحة التى وردت فى رؤية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لهذه الحياة البرزخية :

أخرج مسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مررت ليلة أسرى بى على موسى عليه السلام قائما يصلى فى قبره ، والأنبياء أحياء فى قبورهم يحيون حياة برزخية .. التقى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدث معهم .. وصلى بهم .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليلة أن أسرى بى التقيت فى السماء بابراهيم فقال لى : يا محمد أقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وانها قيعان (١) وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر .

---

(١) قيعان : أى : أرض مستوية .

ومن حديث أخرجه الامام مسلم فيه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « .. وقد رأيتنى فى جماعة من الانبياء ، فاذا موسى قائم يصلى ، فاذا رجل ضرب (١) جعد كأنه من رجال شنوءة (٢) ، واذا عيسى بن مريم قائم يصلى ، أقرب الناس به شبها عروة ابن مسعود الثقفى .. واذا ابراهيم قائم يصلى ، أشبه الناس به صاحبكم — يعنى نفسه — فحانت الصلاة فأممتهم ..) .

والانبياء أحياء فى قبورهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه ، فان صلاتكم معروضة على . قالوا : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (٣) ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أن الله حرم على الأرض أن تأكل جسد الأنبياء .

وقال عليه الصلاة والسلام : من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على غائبا بلغته .

(وأن الله تعالى ملكا أعطاه الله أسماع الخلائق قائم على قبرى فما من أحد يصلى على صلاة الا بلغتها) فالانبياء أحياء فى قبورهم بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لموسى وبرؤيته الانبياء وحديثه معهم وصلاته بهم .

أما الصلاة التى كانوا يصلونها .. فلم تكن فرضا ولا تكليفا وانما كانت شكرا وحمدا لله تعالى على نعمه .

ورأى ملك الموت عزرائيل ، وشاهد ضخامته .

---

(١) الضرب من الرجال : هو الخفيف اللحم .
(٢) شنوءة : قبيلة من قبائل العرب .
(٣) أى : بلى جسدك .

ورأى ملك الدمع الذى بكى خطايا المذنبين .

ورأى ملائكة مختلفة فى أحجام مختلفة وهيئات متباينة ..

وفى البرزخ شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من المشاهد البرزخية :

رأى منزل ودرجات العابدين العاملين .. ورأى دركات المخالفين المعاندين الذين خالفوا التعاليم الآلهية ، أو تهاونوا فيها ، أو تثاقلوا عنها ..

رأى أعداء الدين وما يلاقونه ، وأعداء المجتمع وما يكابدونه .

ورأى المنافقين .. والذين يقولون ما لا يفعلون ..

ورأى الدعاة والوعاظ « اللسانيين » الذين لم يتجاوز الايمان حناجرهم ..

ورأى عقاب المغتابين ، والزناة ، وآكلى مال اليتامى ..

ورأى الخونة مضيعى الامانات وأعداء الانسانية ..

ورأى آكلى الربا الذين ماتت فيهم أحاسيس الانسانية ومشاعر الاخوة ..

وشاهد طوائف من مؤمنى كل عصر ينعمون ويسعدون .

وفى مسراه صلى الله عليه وسلم شم رائحة طيبة ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها (١) .

---

(١) قصة ماشطة بنت فرعون يرويها الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه « الاسراء والمعراج » فيقول : « أما هذه القصة فاننا نرويها على نحو غير ما عهد فى الروايات ، وان كان الجوهر واحد ، لقد شم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرائحة الطيبة وسأل عنها جبريل ، فأخبره انها رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها .. بينما كانت تمشط شعر بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت :

وفى لحظات ، بل فى لمحات ترقى محمد صلى الله عليه وسلم فى معراجه ، اختزل الزمن وقطع بحارا شاسعة ومناطق وأودية ضياء ، وأودية ظلمة ، واخترق الحجب من ظلمات وماء ونار وهواء الى أن التقى بالله ورأى ما يعجز اللسان عن تبيانه وما يعيا الفهم عن تصوره وادراكه (١) .

واجابة عن سؤال ، قد يبدو هنا ، مؤداه : كيف يرى حى حياة أموات ؟

نقول : ولعل الاسراء بروح محمد صلى الله عليه وسلم وبجسده فى تلك الرحلة الالهية الخاصة بمحمد عليه السلام كان بمثابة انتقال من حالة مادية الى حالة روحية ، وانتقال من أجواء بشرية الى أجواء برزخية ، كما تنتقل وتسرى روح المتوفى من حالة الى حالة ومن أجواء الى اجواء (٢) .

=

بسم الله تعس فرعون . فقالت ابنة فرعون : أولك رب غير أبى ؟ قالت : نعم . قالت : أفاخبر أبى بذلك؟ قالت : نعم . فاخبرته فدعاها فقال : أولك رب غيرى ؟ قالت : نعم : ربى وربك الله . وكان للمرأة الماشطة زوج وثلاثة أولاد أصغرهم رضيع ، فأرسل اليهم ، فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما فأبيا فقال : انى قاتلكما فقال : احسانا منك ان قتلتنا أن تجعلنا فى مكان واحد فتدفنا فيه جميعا . فقال : لك ذلك بما لك علينا من حق . وأمر ببقرة من نحاس فأحميت بزيت ثم أمر بهم فالقوا فيها واحداً واحدا حتى بلغ الرضيع وكانت أمه تحمله ولشفقتها عليه تلكأت وكادت ترجع لموافقة فرعون فقال الصغير (يا أمى قفى ولا تتقاعسى فانك على الحق) . فكان هذا الرضيع ممن تكلموا فى المهد خرقا للعادة » .

(١،٢) الصفحات من ٤٧ الى ٥٠ من كتابنا (الحياة البرزخية فى القرآن) نشر دار الشعب .

عند سِدرة المنتهى

لقاء بين الله ومحمّد

صلى الله عليه وسلم

ثم صعد جبريل بالرسول صلى الله عليه وسلم الى ما بعد السماء السابعة حتى وصلا مكانا به (**سدرة المنتهى**) .

وعندها رأى الرسول صلى الله عليه وسلم من المشاهد والآيات الالهية ما لا يمكن وصفه .. ورأى جبريل تتغير هيئته فجأة .. ويظهر على حقيقته التى خلقه الله عليها .

وقال لمحمد معتذرا : الى هنا وينتهى صعودى معك ، ولو تقدمت خطوة واحدة لاحترقت ، ولكل منا مقام معلوم .. ومكان لا يتخطاه .. فتقدم أنت وتابع معراجك المبارك واصعد محاطا بنور من أنوارك .

وتقدم محمد .. وتقدم وحده للقاء ربه وتابع اختراق الحجب التى تحول دون رؤية الستاير .. الى أن وصل الى حجاب الوحدة .. فرأى ما لا تراه الأعين ولا يخطر على قلب بشر .. لم تكن حاسة بصره الجسمانية تتحمل هذا البريق الذى يخطف الابصار ففتح الله عينى قلب محمد ليمنحه القدرة على مشاهدة هذا الجمال اللانهائى .. ثم قربه الله من عرشه حتى أصبح **(قاب قوسين أو أدنى)** .

ولما شاهد نور ربه قال : التحيات لله والصلوات الطيبات .

فرد الله عليه : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته .

وردت الملائكة : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

وظل محمد يناجى ربه .. ويتوجه اليه بالثناء والدعاء ، وعن هذا يقول الله :

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾

(سورة النجم الآيات ٨ — ١٠)

عن هـذا اللقـاء وعن تلك المنـاجاة ، يقـول الامام الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه (دلائل النبوة ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم) (١) : « .. ولانه صلوات الله وسلامه عليه أكمل رسول ، كان من أجل ذلك — أقـرب المقربين الى الله سـبحانه وتعالى .

لقد تخطى الأرضين والسـموات العلا .. وتجاوز الكون كله ووصل الى ما لم يصل اليه بشر ، بل الى ما لم يصل اليه جبريل نفسه ، عليه السلام .

لقد وصل صلوات الله عليه الى (قاب قوسين أو أدنى) .. لقد تجاوز رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك وتجاوز الكون كله الى سـدرة المنتهى .. الى شـجرة النهاية ثم الى حيث لا يبلغ ملك مقرب ولا نبى مرسل : الى قاب قوسـين أو أدنى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى — هذا هو مقام الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) صفحة ٩٠ .

كذلك ينقل الدكتور عبد الحليم محمود عن جعفر الصادق ـ عليه الرضا ـ قوله عند قوله تعالى : ((**فأوحى الى عبده ما أوحى**)) . انه قال : لما قرب الحبيب غاية القرب ، نالته غاية الهيبة ، فلاطفه الحق سبحانه بغاية اللطف ، لأنه لا تتحمل غاية الهيبة الا بغاية اللطف ، وذلك مثل قوله تعالى : ((**فأوحى الى عبده ما أوحى**)) .

أى : كان ما كان .. وجرى ما جرى .. قال الحبيب لحبيبه ما يقوله الحبيب لحبيبه ، وألطف به الطاف الحبيب بحبيبه ، وأسر اليه ما يسر الحبيب الى حبيبه ، فأخفيا ، ولم يطلعا على سرهما أحدا .

ويعقب الدكتور عبد الحليم على ذلك بقوله :

والى هذا ونحوه يشير ابن الفارض بقوله :

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا

سر أرق من النسيم اذا سرى

ومعظم الصوفية على هذا : فيقولون : يدنو الله عز وجل من النبى صلى الله عليه وسلم ودنوه ـ سبحانه على الوجه اللائق .

وقال بعضهم فى قوله تعالى : ((**ما زاغ البصر وما طغى**)) .

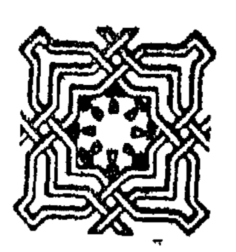
أى ما زاغ بصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وما التفت الى الجنة ومزخرفاتها . ولا الى الجحيم وزفراتها ، بل كان شاخصا الى الحق ، وما طغى على الصراط المستقيم .

وقال أبو حفص السهروردى : (ما زاغ البصر) حيث لم

يتخلف عن البصيرة ، ولم يتقاصر .. (وما طغى) لم يسبق البصيرة ويتعد مقامه .

ثم يختتم الدكتور عبد الحليم حديثه هنا فيقول :

وما من شك فى أن المشاهدة أنواع وألوان .. والمشاهدة هنا على الوجه اللائق ، أما كيفيتها فلا يعلمها الا الله ورسوله (١) » .



(١) صفحة ٣٢٩ من كتابه (دلائل النبوة ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم)

رؤية الله .. والمعراج

((**وهنا يستشكل** الأمر على بعض الناس فيقولون ، وهل لله عز وجل مكان ، حتى يعرج اليه فيه رسوله ؟ .. قد نستطيع أن نسلم بأن الاسراء به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ممكن؛ لأننا الآن نرى الطيارات تقطع هذه الرحلة ذهابا وايابا فى بضع ساعات .

وقد نستطيع أن نسلم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج الى السماء ، لما نراه الآن من محاولات العلم الحديث فى الوصول الى الكواكب .

وقد نستطيع كذلك بأن نسلم بأن ما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حياة البرزخ ، ومن صور الاعمال ومن عجايب الكون حق ، لأن خبره صادق لا يقبل الشك .

ولكن كيف نستطيع أن نسلم بمثوله صلى الله عليه وسلم فى حضرة ربه ذى الجلال والاكرام عند سدرة المنتهى ؟ أليس معنى هذا أن الله ـ جل جلاله ـ مكانا ، وأنه ـ سبحانه ـ فى السماء السابعة أو فيما وراءها ؟ .

والأمر فى حقيقته غير مشكل .

ولكن نحن الذين أشكلناه على أنفسنا ، لأننا أخضعناه لمدركاتنا الحسية ، وحكمنا فيه العقل الذى ليس من شأنه أن يحكم فى مثل هذا الأمر . فالله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس بعيدا عن رسوله حتى

يقطع الرسول للقائه هذه الأبعاد الشاسعة فى السموات العلى ، بل هو معه حيثما كان ، وهو أقرب اليه من حبل الوريد ، بل هو قريب من عباده جميعا يسمعهم اذا دعوا .. ويجيبهم اذا سألوا ، ويكون معهم أينما كانوا : « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » . وهو الذى يقول لرسوله :

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » .

(الآية ١٠٦ من سورة البقرة)

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين أن يبالغوا فى رفع أصواتهم حين رأى جماعة منهم يجأرون بالتكبير يوم (خيبر) فقال : (أربعوا على أنفسكم : أى ارفقوا بأنفسكم ولا تبالغوا فى رفع أصواتكم) فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا ، وهو معكم) .

فلم يكن الغرض من العروج — اذن — أن يلقى محمد ربه فى مكان بعينه ، انما كان ذلك ، ليرى من ملكوت الله ما شاء الله أن يرى ، وليطلع من عجائب صنعه على ما شاء الله أن يطلع ، وليشهد من سعة ملك الله وجلال سلطانه وعظيم قدرته ما يزيده يقينا على يقين ، وايمانا على ايمان ، وليستشعر المنزلة الكريمة والدرجة الرفيعة التى أعدها له ربه ، والا فقد كان فيما يوحى اليه ربه على لسان أمينه جبريل كفاية وغناء (١) .

---

(١) من كتاب (صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم) لأمين دويدار صفحة ٦١٠ / ٦١١ .

وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى كتابه (الأسراء والمعراج) يجيب عن تساؤل وجه اليه ، يقول : هل اذا ذهبنا الى القول بدنو الرسول صلى الله عليه وسلم من الله أو دنو الله منه الا يوجد معنى التجسد أو التحيز ، والله سبحانه منزه عن ذلك ؟

قال : نحن قد قلنا ان الله موجود ، وأنا موجود ، فهل وجود الله كوجودى ؟ أنا أعلم الآن أننى اتحدث فى حلقة فى التليفزيون والجمهور معى ، والله يعلم ذلك ، فهل علمى كعلم الله ؟!

وأنا مثلا أوصف بأننى حى ، والله يوصف بأنه حى ، فهل حياة الله كحياتى ؟

اذن لماذا نفسر أن دنو الله وتدليه ، أو دنو الرسول وتدليه كدنوى أنا وتدلينى ؟ وما دمنا قلنا (سبحان ..) فاذا أوجد شىء لله مثله البشر ، فلابد أن ننسبها الى سبحانه الى الأصل فى سبحان ، فاذا كان الله قد وصف بأشياء مثل (**استوى على العرش**) .. ونحن لنا استواء أيضا على الكرسى ، فلا نقول ان استواء الله سبحانه وتعالى كاستوائى ، لأننى لم أقل أن وجوده كوجودى ، ولا علمه كعلمى ، ولا غناه كغناى ، ولا حياته كحياتى ، لماذا ؟ قالوا لأن الدنو والتدلى من صفة الأجرام ، والله منزه عن الجرمية .

فيجب أن نأخذ الفعل بالنسبة أيضا لفاعله .

وعلى فرض أن الله هو الذى دنا فتدلى ، أو أن الله ينزل الى السماء الدنيا كل ليلة ، كما فى الحديث .. « فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له » .

فلا أتصور التنزل بأنه تنزل كتنزلى ، لماذا ؟ لأننى عندى اطار عام ، وهو أنه سبحانه وتعالى (**ليس كمثله شىء**) .

فاذا أوجد وصف لله ، ووجد وصف مثله للبشر ، فيجب أن أقرن الوصف بالله ، لأنه ليس كوصفي ، والله منزه عن أن تكون (ذاته كذاتي . ، وفعله كفعلي ، وصفاته كصفاتي) .

وفى صفحة ٦١ من كتابه ذلك ، قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم – فى هذه المسألة – (اى الاسراء والمعراج) تعرض لثلاث مراحل : المرحلة الأولى – كان بشرا وجبريل يرى (بضم الياء) محمدا صلى الله عليه وسلم الأشياء ، يسأله الرسول ما هذا يا جبريل ؟ فيقول له : هذا كذا .. وكذا ..

لكنه لما صعد الى السماء كان يرى المرائى فلا يستفهم من جبريل عنها ، ويسمع فيفهم ، اذن فقد تحول شيء فى ذاتية محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وأصبحت له ذاتية فاهمة بلا واسطة جبريل ، ورائية بلا واسطة احد .

ففى الأرض اراءة .. أما في السماء فقد رأى بالرؤية .

ثم بعد ذلك نجد أنه بعد أن انتقل الى مرحلة يكون فيها ملائكيا كالملائكة يراهم ويتكلم معهم ويخاطبهم ويفهم ..

يأتى بعد ذلك فى منطقة أخرى بعد سدرة المنتهى ، فينتهى حد جبريل ، ثم بعد ذلك يزج برسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبحات النور ، ولم يكن جبريل معه .

وهذا دليل على أن محمدا عليه الصلاة والسلام قد ارتقى ارتقاء آخر ، ونقل من ملائكية لا قدرة لها على ما وراء سدرة المنتهى ، الى شيء من الممكن أن يتحمل الى ما وراء سدرة المنتهى دون مصاحبة جبريل عليه السلام .

اذن ، فمحمد كان بشرا فى الأرض مع جبريل ..

وبعد ذلك كانت له ملائكية مع الرسل ومع جبريل فى السماء.

وبعد ذلك كان له وضع آخر ارتقى به عن الملكية ، حتى أن جبريل نفسه يقول له : أنا لو تقدمت لاحترقت ــ وأنت لو تقدمت لاخترقت ..

فذاتية ــ محمد حصل فيها شىء من التغير .. التغير الذى يناسب ذلك الملأ الأعلى ، فجبريل بملائكيته لا يستطيع أن يخترق والا احترق ..

أما هو فيستطيع أن يخترق ..

وعلى هذا فثلاثة أشياء حدثت لمحمد :

بشرية فى الأرض معهودة بالمدد ..

وبعد ذلك ملائكية فى السماء ، قبل سدرة المنتهى .

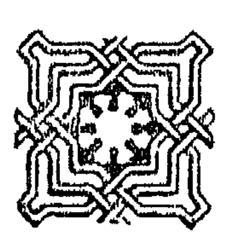
ثم بعد ذلك ملائكية فوق الملائكية ، وهى التى كانت بعد سدرة المنتهى ، يصير فيها « قاب قوسين أو أدنى » ، ويتعرض فيها الى خطاب الله ، والى رؤية الله . .

(على خلاف بين العلماء فى ذلك) . .

وعن هذا الخلاف الذى ختم به فضيلة الشيخ الشعراوى حديثه الجيد الجديد يقول فضيلة الشيخ صفى الرحمن المباركفورى ــ بالجامعة السلفية بالهند فى كتابه (الرحيق المختوم بحث فى السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام) يقول فى صفحة ١٥٧ (ذكر ابن القيم خلافا فى رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه تبارك وتعالى ، ثم ذكر كلاما لابن تيمية بهذا الصدد .

وحاصل البحث أن الرؤية بالعين لم تثبت أصلا ، وهو قول لم يقله أحد من الصحابة . وما نقل عن ابن عباس من رؤيته مطلقا ورؤيته بالفؤاد فالأول لا ينافى الثانى) .

ونختتم هذا الحديث بحديث عائشة ــ رضى الله عنها ــ حينما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلة له : كيف رأيت ربك ؟ فقال عليه السلام : نور أنى أراه .



العودة إلى مكة

وانتهى اللقاء بين الله .. ومحمد ..

وهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس .. وهبط معه الأنبياء تكريما له وتعظيما ثم ركب (البراق) وقد عاد الى مكة وقد بدأ الظلام يجمع ظلاله ويخفى سواده ..

ثم نشر الضياء خطوطه وأنواره وخيوطه .. وبدات تدب الحياة معه فى نواحى مكة وأرجائها .

وعن ابن عباس فيما رواه الامام أحمد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما كانت ليلة أسرى بى ، وأصبحت بمكة فظعت مكة أمرى .. وعرفت الناس مكذبى » .

قال : فمر عدو الله أبو جهل .. فجاء حتى جلس اليه وقال مستهزئا : هل كان من شيء ؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال : وما هو ؟ قال : انه أسرى بى الليلة . قال : الى أين قال : الى بيت المقدس – قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم . قال : أرأيت ان دعوت قومك تحدثهم ما حدثتنى ؟ فقال : نعم .

وفى طرقات مكة سار « أبو جهل المخزومى » أعدى أعداء الاسلام وأخذ يصيح بأعلى صوته : يامعشر قريش ، اسرعوا لتسمعوا نبا عجبا ، نبا طلع به علينا محمد صباح اليوم يحدث به اصحابه ، .. وفى نبرات استهزائية تابع قوله قائلا :

– يامن صدقتم محمدا ، وآمنتم بكلامه اسمعوا ما يقوله اليوم لتعلموا ان صاحبكم قد اصابه مس من الخبل والجنون !!

ومن شعاب مكة ، ومنازلها ، وطرقاتها تجمع الناس ، والتفوا حول ابى جهل ..

وكانوا خليطا ، منهم مسلمون ، وأكثرهم وثنيون يتطلعون فى شوق ولهفة الى ما وراء صيحات أبى جهل . وتعلقت أنظار الجميع بأبى جهل الذى ســـألهم قائلا :

ــ كم تستغرق الرحلة من ديارنا الى بلاد الشـــام ؟

أجابه واحد منهم : مسيرة شـــهرين ، شـــهر للذهاب وآخر العودة .

فقال أبو جهل ــ ان كان ما اخبرنا به محمد من قبل عجبا ، فان ما أخبرنا به صـــباح اليوم أعجب واغرب .. قابلته منـــذ لحظات ، فســـألته :

هل هنـــاك نبأ جديد من انبائك التى تذيعهـــا كل وقت على قريش ؟

فأخبرنى أنه ذهب فى الليلة الماضية فى رحلة من مكة الى بيت المقدس بالشـــام ، ثم عاد فى لحظات الى مكة !!

وانطلقت صيحات التكذيب من أتباع أبى جهل .. وارتسمت على شفاههم ابتسامات السخرية .. وصـــفقوا وقالوا لمن حولهم من المســـلمين :

ما رأيكم فيما يزعمه صاحبكم ؟ وما طلع به اليوم ؟

ولزم أصحاب محمد الصمت ، وانســـحبوا متوجهين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستطلعوا منه الخبر .

وتقول كتب السيرة النبوية انه : فى يوم الحديث عن الاسراء ارتد كثير ممن كان اسلم وذهب الناس الى أبى بكر وقالوا له : هل لك ــ ياأبا بكر بما يقوله صاحبك ؟ يزعم انه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ، ورجع الى مكة .

فقال لهم أبو بكر : انكم تكذبون عليه .

فقالوا : لا ، ها هو ذاك يحدث الناس به .

قال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فوالله انه ليخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه . فهذا أبعد مما تعجبون منه .

وتوجهوا الى حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال أبو بكر : يانبى الله ، أحدثت هؤلاء القوم انك اتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم .

وقال بعض المشركين الذين كانوا قد ذهبوا الى بلاد الشام فى التجارة ورأوا بيت المقدس أكثر من مرة ، قالوا مريديين اعجاز النبى صلى الله عليه وسلم :

ــ إن كنت رأيت بيت المقدس بالأمس ، فصفه لنا ، فنحن ادرى الناس به وبما فيه .

ولكى يصفه النبى عليه الصلاة والسلام وصفا دقيقا وضع الله سبحانه امام عينيه فى هذه الآونة صورة كاملة واضحة لبيت المقدس .. رآها الرسول وحده .. وظل ينظر اليها ويصف للمجتمعين حوله وصفا دقيقا للبيت وما فيه من نوافذ .. وأبواب .. وبناء .. وأثاث .

وكلما وصف شيئا يقول أبو بكر : صدقت أشهد انك رسول الله ..

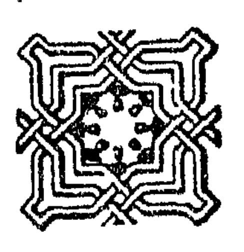
حتى انتهى ..

وعندئذ كبر أبو بكر وصاح فى فرح : ما بعد ذلك وصف ، لقد شاهدتم بيت المقدس مرارا ، ورأيتم ما فيه ، أما محمد فكلنا نعلم

أنه لم يذهب قبل هذه الليلة الى بيت المقدس ومع ذلك فلن يستطيع أحد منكم أن يصفه هذا الوصف الدقيق الشامل ، أو يعرفه هذا التعريف الا الرسول الصادق الأمين .. صدقت يارسول الله .. صدقت يارسول الله . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنت ياأبا بكر الصديق .

ومن هذه اللحظة أطلق أصحاب رسول الله على أبى بكر صفة (الصديق) وأسموه : (أبا بكر الصديق) لمسارعته الى تصديق محمد فى هذا الوقت الذى كذبت فيه قريش محمدا ، وسخر المشركون منه .. وفى هذا الوقت الذى ارتاب بعض المسلمين ضعيفو الايمان فى كلام محمد . فارتدوا الى الكفر .

اما الذين رسخت عقيدتهم وصدق ايمانهم فلم يروا فى الأمر عجبا ، فهذا الوحى ينزل عليه من السماء كل يوم ، فأى فرق بين أن ينزل عليه جبريل بالوحى وبين أن يذهب به الى حيث شاء الله أن يذهب ليتلقى من الوحى ما شاء الله أن يلقى اليه ، وليرى ما شاء الله له أن يرى .



صلاة

« وفى تلك الليلة (١) .. ليلة الاسراء والمعراج فرضت الصلاة على النبى خمسة أوقات .

قال انس بن مالك : فرضت على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصلوات ، ليلة أسرى به خمسين ثم نقصت حتى جعلت خمسا ، ثم نودى يا محمد ، انه لا يبدل القول لدى .. ان لك بهذه الخمس خمسين » .

خمس صلوات فى العدد لهن ثواب الخمسين فى الأجر .

وكان المسلمون فى مبدأ أمرهم يؤدون صلواتهم على هيئة أدعية وابتهالات من غير عدد محدد أو وقت متعارف عليه .. الى ان فرضت الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته فى حضرة القدوس الأعلى .

« ولعلها كانت هى السر العظيم الذى أفضى به الملك الجليل الى عبده ورسوله ، فان الصلاة هى الصلة الدائمة بين العبد وربه ، وهى لب العبادة وجوهرها ، وعماد الدين وركازه » .

فاذا ما توطدت هذه الصلة بين العبد وربه كان أول مظاهرها الا يذل الا له ، ولا يستعين الا به ، ولا يعمل الا ابتغاء رضوانه .

ومن هنا كانت الصلاة أول ما فرض من فرائض الاسلام ، لأنها أول مظاهر التدين ، وأقوى وسائل الاتصال بين العبد وربه، فان وقوف العبد بين مولاه خاشعا متذللا متجردا من كل معانى الحول والقوة ، يدعوه .. ويناجيه .. ويستعينه ويستهديه ،

---

(١) من كتابنا (الرسول فى القرآن) ص ٣٢ وما بعدها .

موقنا أنه ــ وحده ــ مصدر النعم ، وواهب القوى ، ومالك الأمر في الدنيا والآخرة ..

ان وقوفه هذا ، على هذه الحال من الضراعة والخشوع ، ومن التجرد والشعور بالضعف . ومن التذلل والابتهال في طلب المعونة هو لب الدين وحقيقته ، وهو سر العبادة وجوهرها . من أجل هذا كانت الصلاة عماد الدين ، وكانت المحافظة عليها واجبة في السفر والاقامة ، وفي الأمن والخوف ، وفي الصحة والمرض . وكان تكرارها خمس مرات في اليوم والليلة تدعيما لهذه الصلة . والانسان بطبعه ضعيف لا يستطيع وحده أن يقاوم عناصر الشر ، وهي كثيرة .. فاذا لجأ الى ربه ووقف بين يديه خاشعا متضرعا يستمد منه ــ وحده ــ العون والحول والقوة .. وجد منه الحماية والأمن وتضاءلت أمامه القوى مهما عظمت ، وانهدمت له عناصر الشر مهما كثرت .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتد به أمر أو أصابه هم فزع الى الصلاة ، ولعل هذا هو مرمى قوله تعالى : ((**واستعينوا بالصبر والصلاة**)) .

والصلاة اذا أقيمت مستوفية الأركان والشروط وتحقق فيها الخضوع الذي هو روح الصلاة واستحضر العبد فيها وهو ماثل بين يدي خالقه عظمة بارئه .. وقوته وقدرته .. وردد فيها آيات من كلام مولاه يستحضر معانيها ويعيش في أجوائها ويتابع مضامينها بعقله وقلبه ويقرأ بترتيل وحضور .. ويركع بخضوع ويسجد بخشوع وتأن .. كانت الصلاة المقامة التي أمر بها المولى عندما قال (**وأقيموا الصلاة**) .

سئل (١) « حاتم الأصم الصوفى » عن صلاته وكيف يقيمها ؟ فقـــال :

اذا حانت الصلاة أسبغت وضوئى .. وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه ، فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى .. ثم أقوم الى صلاتى .. وأجعل الكعبة بين حاجبى ، والجنة على يمينى ، والنار عن يسارى ، وملك الموت من وراء ظهرى ، وأظنها آخر صلاتى ، مصداقا لقول رســـول الله صلى الله عليه وسلم (اذا صليت فصل صلاة مودع) ..

ثم أقوم بين الرجاء والخوف ، وأكبر بتحقيق ، وأقرأ بترتيل، واركع ركوعا بتواضع ، وأسجد سجودا بخشوع .. ثم لا أدرى بعد ذلك كله أقبلت منى هذه الصلاة أم لا .. ؟ » .

هذه هى مواصفات الصلاة المقامة التى تنهى عن الفحشـــاء والمنكر ، والتى يجد لها المصلى أثرا فى سلوكه ووجدانه .

قال المولى (وأقيموا الصلاة) وقال (وأقم الصـــلاة) فالمولى سبحانه لم يأمر بوجود صورة الصلاة ، أو بالصـــلاة فحسب ، ولكنه أمر باقامتها .. واقامتها لا تكون الا بتحقيق روحها وروحها الخشوع ، والخضوع ، وحضور الذهن والقلب .

واذا خلت الصلاة من كل ذلك كانت فى نظر الشرع غير مقامة ، وكانت عملا آليا وحركات لا أثر لها فى النفس ولا فى السـلوك ، ولا أجر عليها فى الآخرة . وتلف يوم القيـامة ويقذف بها فى وجه صاحبها وتقول له : ضيعك الله كما ضيعتنى .

هكذا جاء فى حديث رسول الله صلى الله عليه وســلم عندما قال (من صلى صـــلاة لوقتها ، وأســبغ وضـــوءها وأتم ركوعها

---

(١) من كتابنا (المؤمنون آيات وأحاديث) صفحة ١٢ / ١٣ .

وسجودها وخشوعها عرجت (أى : صعدت) وهى بيضاء مسفرة تقول : حفظك الله كما حفظتنى . ومن صلى صلاة لغير وقتها ، ولم يسبغ وضوءها - أى لم يتم وضوءها - ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهى سوداء مظلمة تقول : ضيعك الله كما ضيعتنى ، حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق (القديم البالى) فيضرب بها وجهه) .

يقول ابن عباس : صلاة ركعتين بخشوع وتفكر خير من قيام الليل والقلب ساه .

والخشوع محله القلب ، اذا خشع خشعت الجوارح ، أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يصلى ويعبث بلحيته فى الصلاة ، فقال عليه الصلاة والسلام (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه) كذلك قال عليه الصلاة والسلام للاعرابى الذى صلى صلاة سريعة خالية من الروح فأمره باعادتها وقال له : (صل فانك لم تصل) . وقال عليه الصلاة والسلام (ليس للمرء من صلاته الا ما عقل منها) .

وقال : (الصلاة نور) نور فى القلب ونور فى القبر ونور يوم القيامة (يوم ترى المؤمنين يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) » .

وعن الصلاة وأنها من ثمار الاسراء والمعراج يقول الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه القرآن والنبى (أما ثمرة الاسراء والمعراج وأما هدية الاسراء والمعراج ، وما أعظم المنح الالهية فى الاسراء والمعراج فهى : الصلاة ، ولا يتأتى لنا عجزا وقصورا أن نتحدث عن الحمد ، وعن الشكر على هذه النعمة التى انعم الله بها على الأمة الاسلامية فى هذه الليلة المباركة .

فالصلاة هى : الصلة به سبحانه ، وهى الكيفية ، وهى الطريقة ، وهى الوسيلة ، وهى اللحظات الجليلة التى تتم فيها الصلة وتتحقق .

أنها فترة مناجاة ، فترة انقطاع كامل — ويجب أن يكون كاملا — عن عالم المادة ، وعالم الشهوات ، عالم الفتنة ، لتخلص النفس الى المنعم ، حتى تنعم فى رحابه بسعادة الصلة به والقرب منه .

ومن أقام الصلاة فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، ان اقامة الصلاة ، أو اقامة الدين انما هى : اقامة الصلة بالله ، وتحقيق ذلك : هو المثل الاعلى والغاية العظمى والسعادة الكاملة التى يجرى وراءها المؤمنون ، ليحققوا بها معراجهم نحو الله تعالى .

وما من شك فى أن الصلاة يقيمها الانسان ، كما أراد الله ورسوله — من أنجح الوسائل فى القرب من الله .

انها البراق الذى يجتاز به المؤمن فى سرعة سريعة طبقات البعد عن الله سبحانه وتعالى ، ليصل اليه تعالى ، فينعم فى رحابه .

هذه الزاوية — وغيرها من عبر الاسراء والمعراج هى التى يجب أن نتنبه اليها ، وأن نأخذ فى تأملها والانسجام معها) (١) .

---

(١) صفحة ٢٧٢ / ٢٧٣ من كتاب القرآن والنبى .

تساؤلات

وقد وجهت تساؤلات الى فضيلة الداعية الاستاذ الشيخ محمد متولي الشعراوى فرد عليها فى حلقات أذيعت بالتليفزيون فى برنامج (نور على نور) وسجلت فى كتابه (أحاديث الاسراء والمعراج) .

ونحن بدورنا هنا نعرض — فى ايجاز — رده المنطقى المدعم بالادلة والحجج الصائبة والتحليل المقنع ذى الاسلوب الميسر .

وقد قدم لحكمه فى هذه القضية قضية فرضية الصلاة ليلة المعراج ، ومسألة تردد الرسول عليه الصلاة والسلام بين ربه وموسى عليه السلام ، وما تصوره البعض (رغم صحة حديث البخارى) من أن هذا قد يوحى بنوع من وصاية سيدنا موسى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم — قدم تمهيدا نعرضه بايجاز وتركيز قال فيه :

ان الحق سبحانه وتعالى استهل حديثه جل وعلا عن حادث الاسراء بالكلمة القرآنية (سبحان الذى .. ومعنى سبحان : التنزيه .. والارتفاع بذات الحق عن ذوات المخلوقين ، والارتفاع بفعل الحق عن مشابهته لفعل المخلوقين ، والارتفاع بصفات الحق عن مشابهتها لصفات المخلوقين .

واذا كنا نأخذ فعل الله من هذه الزاوية ، وهى التنزيه ، فيجب أن ننسب الفعل الذى نسبه الله نفسه اليه .

وأن كل فعل من الأفعال يجب أن يؤخذ بقانون وقوة فاعلة فقوة الفاعل هي التي اتصور لنا قدرته على الفعل من عدم قدرته .

والله سبحانة وتعالى نسب الاسراء الى نفسه .. ولم ينسبه الى رسوله فقال (سبحان الذى أسرى) أى أسرى هو بعبده .

اذن فقانون محمد، وبشرية محمد ملغاة فى الفعل، وفى الحدث ورسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على قانون خالقه وهو الحق سبحانه وتعالى — فيجب ألا نعترض على الفعل بقانون البشرية ، بل يجب أن نرد الفعل الى قانون فاعله ، ومادام الفاعل هو الله ، فلا تحكم للزمان فيه .. ولا تحكم للمسافة فيه ، ولاتحكم لشيء من ذلك حسب قانون البشر ومحمد صلى الله عليه وسلم كان محمولا على قانون الحق أو مصاحبا .

وأعطى مثلا تقريبا لذلك فقال : انني اذا قلت : لقد صعدت أنا وابنى الرضيع قمة جبل هيمالايا .. فلا يمكن لعاقل أن يقول : « وكيف يصعد ابنك الرضيع قمة جبل هيمالايا ، لأننى لم أقل ، صعد ابنى الرضيع » وانما قلت صعدت أنا بابنى الرضيع اذن ، فالقانون قانونى .. لا قانون ولدى .

كذلك — ولله المثل الأعلى — الله أسرى بعبده ، اذن فقانون محمد صلى الله عليه وسلم ، وبشريته وارتباطه بالزمن والمسافة لا دخل له فى شيء من ذلك .

وأضاف فضيلة الشيخ الشعراوى :

ان الاسراء جاء آية أرضية ، ومعنى آية أرضية أن البشر يعلمون بيت المقدس ، ويعلمون البيت الحرام ، ومنهم من ذهب الى بيت المقدس ، ومنهم من يعرف الطريق اليه .

والمولى سبحانه وتعالى ترك للدليل العقلى ما يمكن أن يكون مؤيدا لوجهة نظر الرسول فيما قال ، فاذا قالوا (صف المسجد) وصفه كما رآه الناس ، واتهم بطلبهم وصف المسجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل منهم على أنهم يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير المسجد ، فلو كانوا يشكون ، فى أنه راى من قبل ما سألوه وصفه .

اذن فهم مقتنعون جميعا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذهب الى المسجد الأقصى ومع ذلك استوصفوه .

اذن فالاسراء آية أرضية أمكن أن يقام عليها الدليل .

واذا أمكن اقامة الدليل المادى المرئى بواسطة البشر عليها فهمت العقول أولا أن المسافة قد اختصرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وان قانون الزمن قد ألغى عنده ، اذن فقد خرق له الناموس .. فاذا عرفنا أن الناموس خرق له فى أمر عادى نعلمه ونستدل عليه بعقولنا فاذا حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أن قانون السماء قد خرق له فاخترقه فلا مجال الا للتصديق .

وتكون اذن آية الاسراء ايناسا لعملية الايمان بالمعراج .

فالله الذى خرق القانون لمحمد فى المسافة والزمن خرق له القانون فى المعراج للسموات السبع . كذلك يقول الامام المفسر الملهم الشيخ الشعراوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حادث الاسراء والمعراج تعرض لثلاث مراحل :

المرحلة الاولى ، كان بشرا وكان جبريل يرى محمدا الأشياء ومحمد يقول : ما هذا يا جبرايل ، فيقول له : هذا كذا .. وهذا كذا .. ولكنه لما صعد الى السماء كان يرى المرائى فلا يستفهم من جبريل عنها ، ويسمع فيفهم اذن فقد تحول شيء فى ذاتية محمد ، واصبحت ذاتية فاهمة بلا واسطة جبريل ، ورائية بلا واسطة أحد ، ففى الارض « ارادة » أما فى السماء فقد رأى بالرؤية ..

ثم بعد ذلك نجد أنه صلى الله عليه وسلم بعد ان انتقل الى مرحلة يكون فيها ملائكيا كالملائكة يراهم ويتكلم معهم ويخاطبهم ويفهم .

يأتى بعد ذلك فى منطقة أخرى بعد سدرة المنتهى ، فينتهى حد جبرايل .

ثم بعد ذلك يزج فى سبحات النور والم يكن جبريل معه . وهذا دليل على ان محمدا عليه الصلاة والسلام قد ارتقى ارتقاء آخر . ونقل من ملائكية لا قدرة لها على ما وراء سدرة المنتهى الى شيء من الممكن أن يتحمل الى ما وراء سدرة المنتهى دون مصاحبة جبريل .

اذن فحمد كان **بشرا** فى الارض مع جبريل ، وبعد ذلك كانت له **ملائكية** مع الرسل ومع جبريل فى السماء وبعد ذلك كان له **وضع آخر** ارتقى به عن الملكية ، حتى أن جبريل نفسه يقول له : أنا لو تقدمت لاحترقت وأنت لو تقدمت لاخترقت فذاتية محمد حصل فيها شيء من التغيير الذى يناسب ذلك الملأ الأعلى .

وقد تحدث عن مسألة : الصلاة .. وما أثير حولها ، فقال :

« .. هؤلاء الذين يقولون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء اماما فى بيت المقدس قبل أن يعرج فكيف ذلك ، والصلاة قد فرضت بعد العروج ؟

فنقول لهم : نعم فرضت الصلاة بعد العروج بشكلها الاسلامي النهائي .

لأن الصلاة موجودة مع كل رسول ، وعند اتباع كل رسول مصداقا لقول الله تعالى لابراهيم .

(وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) .

اذن فهناك ركوع .. وهناك سجود من يوم أن خلق الله الرسالة ومن يوم أن خلق الله التكاليف وفي سورة مريم – أيضا –

((يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين)) .

وفي آية أخرى : ((ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة)) فكان فيه صلاة .. لكن لا كالصلاة الاسلامية !!

فالصلاة الاسلامية خاصيتها أنها جمعت ميزات كل صلوات الرسل .

فصلوات الرسل كانت في بعض الأزمنة غدوة وعشية : أي ركعتين في أول النهار ، وركعتين آخر النهار .. شكل خاص في الركوع وشكل خاص في السجود .. وهكذا فلما جاءت صلاة الاسلام اخذت كل ميزات الصلاة .

ولم يأخذ رسول من الرسل العدد الذي فرض على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بذلك التوزيع الزمني : أي خمسة اوقات في اليوم والليلة ولذا نجد أن سيدنا موسى استكثر هذا .

اذن كانت هناك صلاة .. ولكن الصلاة التي فرضت هي الصلاة الجامعة لكل مزايا الصلوات المتقدمة عند الرسل السابقين

وخاصة أنه لم توجد صلاة عندهم اسمها « صلاة العشاء » التى جاءت فقط لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

كذلك يقول الشيخ الشعراوى : ان الصلاة هى الشحنة التى تشحن المؤمن ليقبل على أوامر ربه بجد واجتهاد ولأن هذه الشحنة هى الأساس الذى سيحرك هذا الموتور الانسانى ، كانت بالنسبة للفرضية تختلف عن كل الأحكام بأن فرضت من الله مباشرة .

ولم يشأ الله فى مقام قرب محمد منه الا أن يرده بما يقرب المؤمنين برسول الله ، فكانت الصلاة : هدية القرب للقرب .

والمعراج كان تكريما لرسول الله لأنه كان قربا من الله سبحانه وتعالى .. لم يستأثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده بالتكريم مع أنه يحب أمته..لا ، لابد أن يرجعه الله بتحفة وهدية الى من يؤمن به لتكون وسيلة الى القرب أيضا ، ولذلك يقول الحق (فاسجد واقترب) .

فكأن السجود الذى هو أظهر مظاهر الخضوع فى الصلاة هو الذى يقرب الانسان الى الله ، القرب الذى اقتربه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه ، فكأن الله سبحانه وتعالى حيا محمدا صلى الله عليه وسلم حين قربه منه فى الملأ الأعلى بأن حمله هدية ، وحمله تحفة يحملها الى المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتكون لهم حظا فى القرب من الله ، كما كان لرسوله صلوات الله وسلامه عليه حظه فى القرب منه جل وعلا .

لِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا
وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ

الاسراء معجزة وتكريم .. واختبار وتمحيص (ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) .. الاسراء معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تتحدث عنها الأجيال المؤمنة بها .. تجلى لهم عوالم وأفلاك ومشاهد عزت على العقل واستحالت على الادراك الاسراء تسلية وتسرية وتكريم للرسول فى الملأ الأعلى ..

وهو اختبار وتمحيص يظهر من بقى على ايمانه واستقر على يقينه كما هو فتنة للكافر ومحق له .

وسيظل أمر الاسراء والمعراج بهذه المثابة وتلك الصفات والخصائص الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

سيظل أمره كذلك مادام هناك مؤمنون يؤمنون فى حق وعمق ويقين وتصديق وصدق وتسليم بكل آيات الاسراء وخوارق المعراج وبكل ما رواه عنهما الصادق الأمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وسيظل الأمر كذلك مادام هناك كافرون جاحدون ينكرون احداثه جملة وتفصيلا

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .

سيظل الأمر كذلك مادام هناك من يقول فى شأن الاسراء

والمعراج ، كما جاء في بحث قال فيه صاحبه (١) (بالحرف الواحد) قال : « والاسراء حقيقة نص عليها القرآن الكريم نصا صريحا بقوله ، جل شأنه :

(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا) .

والمعراج حقيقة أيضا .. ولكن ليس في القرآن نص صريح به .. وانما وردت عنه بضع أيات قرآنية من سورة « النجم » ذات تفاسير متعددة ، ومتضاربة في نفس الوقت لا يطمئن اليها العقل .. والاستناد في رحلة المعراج الى أحاديث منسوبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم لا يرتاح لها الباحث ، لأن النشاط الاسرائيلى كان يتسلل الى العقيدة الاسلامية في ذلك الوقت من خلال تفاسير القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام) .

أن أعداء السنة النبوية الذين يقولون نؤمن بما جاء في القرآن وحده ، وبما تحدث عنه وبما نص عليه .. ويغفلون أو يتغافلون ويجهلون أو يتجاهلون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها المصدر الثانى للتشريع بعد كتاب الله جل وعلا ، وأنها كاشفة وموضحة ومبينة للقرآن الكريم وأن حاجة القرآن الى السنة كحاجة السنة الى القرآن ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم (لا ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى) (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .

---

(١) الصفحة الاولى من مبحث عنوانه (التفسير القرآنى المعجز لرحلة الاسراء والمعراج ، لصاحبه « مصطفى الكيك » مفتش أول سابق بوزارة التعليم .

ويقول الامام عبد الحليم محمود فى كتابه (الاسراء والمعراج) ص ١٣٠ عندما تحدث عن التصديق والايمان المطلق برسول الله صلى الله عليه وسلم وموقف أبى بكر رضى الله عندما صدق بالاسراء والمعراج بمجرد اخباره عنه قال ـ رحمه الله ـ (.. هذا الايمان المطلق بالرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى جعل الرسول عليه الصلاة والسلام يطلق على ابى بكر رضوان الله عليه : (الصديق) .

و « الصديقية » مرتبة من مراتب ، لا ينالها الا من جاهد نفسه جهادا تخطى به ايمان العامة ، وسما فى ايمانه درجة ، الى أن أصبح قائما بالله متجها اليه ، عاملا على مرضاته فى جميع ما يأتى وما يدع .

والأمة الاسلامية بأكملها ، مطلوب منها ، بالنسبة الى أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم أن تكون على غرار الصديق رضوان الله تعالى عليه ، تلقى بقيادها الى أخباره ، وتسلم نفسها الى أنبائه ، مصدقة تصديقا كاملا : تصديقا يحملها على العمل بما جاء به ، وعلى اتباع كل ما جاء به ، وعلى الانتهاء عن كل ما نهى عنه ، تصديقا ايجابيا يحقق للامة الاسلامية المجد الذى ترجوه تصديقا ينفى عن وجودها هؤلاء الذين انحرفوا مع المنحرفين ، واستجابوا لنداء اعداء الاسلام فأخذوا يشككون الناس فى أقوال الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فى أحاديثه وفى سننه ، زاعمين أنهم من المجددين !! وما هم فى الواقع الا أبواق من أبواق المستشرقين ، المبشرين .

ان هذه الاقلام التى تشكك فى السنة ، وفى الأحاديث النبوية ليست الا أقلاما مقلدة لا تحمل طابع الأصالة ، ولا طابع التجديد

وانما تحمل طابع التقليد ، وطابع الفشـــل والتردد الذى يتنافى مع الايمان ، ويتنافى مع الصديقية » .

والاسراء والمعراج فتنة واختبار يقول عن ذلك الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه (القرآن والنبى) ص ٢٧٠ « لقــد كفر عند سماع النبأ من كفر بعد اسلامه .. وارتد من ارتد بعد ايمانه وما كان هؤلاء لو بقوا الا عاملا من عوامل الضــعف أكثر من أن يكونوا عاملا من عوامل القوة .

ان هــؤلاء المكيين الذين آمنوا ، وصــبروا على الحــوادث القاسية : على التعــذيب ، وعلى الآلام ، وعلى الفتنــة فى جميع مظاهرها ، ان هــؤلاء المكيين الذين صــبروا .. وصــابروا .. وتخلصت أنفسهم من جميع النزعات المادية ، ومن جميع الأهواء ، فأصبحت خالصة لله وحده .

ان هؤلاء المكيين الذين كان فى تقدير الله سبحانه وتعالى أن تقوم عليهم الدولة فى نشــأتها والذين من أجــل ذلك « يجب أن يكونوا مهيئين لأن يصمدوا لكل ما يمكن أن يعترضهم من عقبات ، نقول : ان هؤلاء المكيين يجب أن يصفوا تصفية تامة كاملة » .

وهناك أقوال .. وأقاويل

قالوا : ورد فى صحيح البخارى جـ ٥ صفحة ٦٨/٦٩ طبعة سنة ١٣٧٨ هجرية ما نصه :

« ثم فرضت على .. أى على رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات خمسين صلاة كل يوم .. فرجعت فمررت على موسى فقال : بم أمرت ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وانى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك .

فرجعت : فوضع عنى عشرا .. فرجعت الى موسى ، فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرا .. فرجعت الى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرا ، فرجعت فقال مثله : فرجعت فوضع عنى عشرا ؟

ثم قالوا معقبين على هذا الحديث النبوى الشريف الذى رواه البخارى فى صحيحة قالوا :

« نلاحظ معا أن عدد العشرات التى وضعت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بحسب ما ورد بالبخارى أربع ، بأربعين فرضا ، من خمسين ويكون باقى التكليف من الخمسين **عشر صلوات** وليس خمسا ، كما هو واقع الحال الآن .

ثم قالوا : ان الذى يتأمل هذا الحديث يجد انه يكشف عن طريقة فى التكليف بالفريضة لم يعرفها الاسلام ، فقد كان التكليف

يفرض على المسلمين بآيات قرآنية يوحى بها الى الرسول صلى الله عليه وسلم .. أما هذه الصلوات التى جاءت باتصال مباشر بالله سبحانه وتعالى فظاهرة تلفت النظر .

ثم عقبوا على هذا قائلين : واذن فهذا الحديث المنسوب الى الرسول صلى الله عليه وسلم : من أنه تلقى مباشرة عن الله — جل وعلا — فى معراجه اليه فريضة الصلاة على النحو الذى جاء به دون أن يوحى اليه قرآنا ، لا يتفق مع الأسلوب الذى نزلت به الفرائض جميعا .

كما أن الطريقة التى رسمها الحديث لتحديد الفريضة لم تكن طريقة حاسمة كما هو الحال فى أحكام الفرائض الأخرى .

ثم حكموا على هذا الحديث بأنه حديث موضوع !!

واستدلوا على ما ذهبوا اليه من أن هذا الحديث مكذوب وموضوع بقولهم : وقد كشف واضع الحديث نفسه حين لجأ الى أسلوب غريب على التشريع الاسلامى ، أسلوب أشبه بالأسلوب التجارى المبنى على المساومة . وهو ما يمارسه اليهود من الأساليب فى معاملاتهم .

ثم قالوا : ومما يلفت النظر : ما ورد فى هذا الحديث أن موسى عليه السلام طلب الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أن (يرجع الى ربه) ، ليسأله التخفيف عن أمته كأنما كان لربه مكان يرجع اليه الرسول فيه ليسأله هذا التخفيف .. وهو تجسيد ، ومكانية « للآله يأباه الاسلام » ولا يؤمن به ، لأن الاسلام نشأ على التجريد وعلى أن الله سبحانه ليس كمثله شىء .. أما الذين تستوعب عقيدتهم تجسيد الآله ومكانيته فهم اليهود ، لأنهم يعرفون آلههم على صورة بشرية ..

وأضافوا بعد ذلك قولهم :

ان الصلوت الخمس ، وفريضة الوضوء ، أوحى بهما الى الرسول صلى الله عليه وسلم **وهو بالمدينة** بعد أكثر من ثلاث عشرة سنة من بداية الدعوة وحيا قرآنيا ، ثم قالوا :

والثابت أيضا انها فرضت على المسلمين بمكة منذ بداية الدعوة وقبل أن يصـــدر الحكم بها وبأوقاتها بالمدينة : كقوله تعالى من سورة الأعلى المكية الآيتين الشريفتين : ١٤ ، ١٥ : « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه **فصلى** » .

ومن سورة الكوثر المكية جـ ٣ بالآية الشريفة « فصـــل لربك وانحر » .

ومن ســـورة الأنعام المكية الآية ٧٢ « وأن أقيموا **الصـــلاة** واتقوه » .

ومن سورة طه المكية آية ١٣٢ « وأمر أهلك **بالصلاة** واصطبر عليها » .

وختموا اتجاهاتهم هذه بقولهم :

وورد فى السيرة النبوية لابن هشام : أنه لما فرضت الصلاة على هذا النحو المكى جاء جبريل الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة .. وعلمه الوضوء .. وصلى به الصلوات الخمس يومين متتاليين ، بأوقاتها وعدد ركعاتها وسجداتها ، وما يسر منها وما يعلن .. ابتداء من التكبير بالله جل شـــأنه الى التســـليم .. (كما جاء فى سيرة ابن هشام الجزء الأول) .

ثم قالوا :

وغير خاف أن أداء فريضتى الوضوء والصلاة بمكة منذ بداية الدعوة ، وقبل رحلة الاسراء بأكثر من اثنى عشر عاما سبق نزول الآيات الشريفة التى فرض بها الوضوء ، وفرضت بها الصلوات الخمس بالمدينة .

وهذا السبق من خصائص القرآن الكريم ، على ما يقول به الامام جلال الدين السيوطى حيث يسبق الحكم أحيانا النزول ، أو يسبق النزول الحكم ،

(راجع الاتفاق فى علوم القرآن جـ ١ ص ٣٧) .

وليس هذا كل ما وجه الى معجزة الاسراء والمعراج من آراء وأقوال ومزاعم وأقاويل وأحاديث كواذب ..

بل هناك كثير مما فاضت به بعض كتب التاريخ وبعض مانشر من أبحاث ومقالات فى بعض الصحف ، وما أذيع فى وسائل الاعلام.

ولا عجب بعد ، أن قال البعض : « لعل الناس لم يختلفوا فى شىء قط كما اختلفوا فى شأن الاسراء والمعراج ، ولم يتجادلوا فى شىء قط كما تجادلوا فى أمرهما ، فمن الناس من صـــدق بهما جميعا .. ومن الناس من كذب بهما جميعا ..

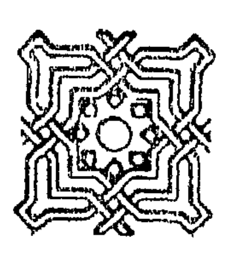
ومنهم من صدق بالاسراء وكذب بالمعراج ..

ومنهم من قال ان الاسراء كان بالروح والجسد معا ..

ومنهم من قال انه كان بالروح دون الجســـد...

ومنهم من قال انه كان فى اليقظة ، ومنهم من قال بأنه كان فى المنـــام ..

وهكذا لم يزل الناس منذ هذا الحادث العظيم يختلفون فيه ، ولايزال كل فريق يحاول أن يؤيد رأيه بكل ما يبدو له من الحجج ، وما يرجح عنده من البراهين . وصـــدق الله العظيم اذ يقول : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس » .



وأخيراً ..

... ومضى ركب الحيـــاة ..

وانقضت القرون والأعوام ..

وتقدم البحث العلمى ..

وسار موكب الاختراعات يحث الخطى ..

كل يوم كشف جديد ..

الى أن جاء عصر الطائرات والنفاثات ، والصواريخ ، والذرة ، فألغيت المســافات .. وقرب كل بعيد ..

وفكر الانسان فى غزو الفضاء ووصل الى القمر ..

واصبح ما كان بالأمس خيالا حقيقة واقعــة .

واصبح ما كان العقل ينفى وجوده ، أو يستبعد حصوله واقعا ملموســـا ..

واصبح الذين استبعدوا حدوث الاسراء قديما لا مكان لهم اليوم ..

وهكذا أيدت المختــرعات والمكتشــــفات معجــزات الاســـــلام ..

واثبتت الأيام صدق من اسرى به محمد عليه الصـــلاة والســـلام ..

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ..

فهرس

□ رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩١/٢٧٥٣ م



هذا الكتاب

الاسراء والمعــراج رحلتان آلهيتان تحدثت بعض الكتب عن بعض أحــداثهما بحديث اختلط فيه الحق بالمدسوس من الأحاديث الكواذب .

ويسر دار الشعب أن تخرج كتابها هذا عن الأسراء والمعراج فى ثوب سداه الحق ولحمته الصدق ، يعتمد على آيات الحق جل وعلا ، وما صــح من أحاديث متواترة عن صاحب معجزة الاسراء والمعــراج عليــه الصلاة والسلام .

وذلك الثوب نســجته يد صــناع يد الكاتب الاسلامى الأستاذ الدكتور محمود بن الشريف .

ودار الشعب اذ تقدم الكتاب بهذه الصورة للقراء فى العالم الاســلامى تســأل الله أن يتم به النفع وأن تعم به الفائدة انه نعم المولى ونعم النصير .

١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م